

(١٧) ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

قال الطحاوي رحمه الله (ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين) نعم ملك الموت هكذا

سماه الله قال تعالى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} [السجدة: ١١] أما تسميته بعزرائيل فهذا

لا يوجد إلا في الإسرائيليات لكن لم يثبت في حديث صحيح مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن اسمه عزرائيل وما دام أن الله تعالى قد سماه ملك الموت فإننا نسميه كما سماه الله ملك الموت وملك الموت هو الذي أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه يتوفى الأنفس وقال الشيخ هاهنا: (الموكل بقبض أرواح العالمين) فملك الموت يتولى قبض روح كل إنسان ولا يقولن قائل كيف يموت جملة من الناس دفعة واحدة آلاف، هذا أمرٌ نؤمن به ولا نقيسه على حالنا فإن للملائكة حالٌ ليست كحالنا فالقياس فاسد فنثبت بأنه هو الذي يقبض الأرواح ولكن يكون من ورائه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فملائكة الرحمة لا يدعون روح المؤمن معه طرفة عين حتى يأخذوها وملائكة العذاب كذلك لا يدعون روح العبد الكافر معه طرفة عين حتى يأخذوها ثم يسلك بكل سبيله.

ومن مهام الملائكة أيضاً التي أخبرنا الله تعالى عنها الملائكة التي تتصور على الأجنة في بطون أمهاتهم فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأنه إذا مضى على النطفة اثنتان وأربعون ليلة تصور عليه الملك وشكله وخططه وأخبر في حديث عبد الله بن مسعود حديث الصادق المصدوق زيادة على ذلك وذكر نفخ الروح فقال: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقةً مثل ذلك ثم يكون مضغاً مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد) وهذا يدل على أن الملك ينتاب الجميع أكثر من مرة في التخطيط والتصوير، أما نفخ الروح فلا يكون إلا بعد تمام أربعة أشهر.

ومن مهام الملائكة التي وكلها الله إليهم المعقبات قال الله تعالى: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} [الرعد: ١١]، وهم ملائكة يحولون بين الإنسان وبين المخاطر التي تحدث به لكن إذا جاء أمر الله خلو بينه وبينه فهؤلاء يقال لهم المعقبة.

وهناك أيضاً المتعاقبون قال النبي صلى الله عليه وسلم (يتعاقبون فيكم ملائكة في الليل والنهار فيجتمعون في صلاة العصر وفي صلاة الفجر)، ومن الملائكة أيضاً سماهم النبي صلى الله عليه وسلم بالسياحين أنهم يسيحون في الأرض يبحثون عن مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلساً من مجالس الذكر تنادوا أن هلموا إلى بغيتكم حتى يبلغوا عنان السماء يبحثون عن مجالس الذكر ويثوون إلى المساجد.

ومن مهام الملائكة تثبيت المؤمنين في المعارك قال الله عز وجل: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال: ١٢]، وقد وقع ذلك كما أخبر الله في غزوة بدر حتى حدث بعض الصحابة أنه كان يطرد كافراً يلحقه فلم يرى إلا ورأسه يقع على الأرض يخطبه الملك وشواهد هذا كثيرة في قتال المؤمنين وفي نصرة الملائكة لهم في مواطن كثيرة.

ومن مهام الملائكة أيضاً سؤال الملكين للمقبور عن ربه وعن دينه وعن نبيه كما هو معلوم مشهور والمقصود أن ملائكة الرحمن لهم أعمالٌ أكثر لا تحصى في الحقيقة في مقامٍ واحد جاءت بها نصوص الكتاب ونصوص السنة مما يدل على أنه ينبغي للمؤمن أن يعيد النظر في إيمانه بهذا الركن واستحضاره له، لو تأملنا يا كرام لوجدنا أن صلة الملائكة ببني آدم صلة ضاربة في أعماق التاريخ ابتدأت هذه الصلة منذ خلق أبينا آدم كما أخبرنا ربنا عز وجل حين قال: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٣٠] فهذه أول صلة وعلاقة بين الملائكة والإنسان، ثم إن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا طواعيةً لربهم وامتنالاً له وتكريماً لهذا المخلوق وبهذا تميزوا عن إبليس الذي أخذه الكبر هم بحكم عبوديتهم لله لم يستنكفوا أن يسجدوا لآدم وحين خلق الله آدم وأسكنه الجنة علمته الملائكة السلام كيف يسلم وكيف يرد السلام وحينما أهبط آدم إلى الأرض ومات غسلته الملائكة.

ثم لو تأملت صلة الملائكة بالإنسان من يقظته إلى منامه لوجدت أشياء كثيرة جداً تدل على أن هذه الصلة صلة قوية للغاية فمن حين أن يستيقظ الإنسان ويذكر الله عز وجل تبدأ صلة الملك معه وحين يكون في مصلاه فالملك يدعو له ما دام في مصلاه اللهم اغفر له اللهم ارحمه وحينما يسير في الطرقات وحينما يفعل بعض الصالحات وحينما يخرج من بيته ويدعو بالدعاء يقال له كفيت ووقيت وهديت وشيء كثير يتعلق بهذا حتى حينما يأتي بعض الأمور الأخرى فيجعل الله سبحانه وتعالى للملائكة تأثيراً حسناً عليه في عشرته مع أهله وفي طعامه وشرابه، فلا بد للإنسان أن يستحضر هذه المعاني ويعتقد أنها حق ويعتقد حب هؤلاء الملائكة يعني يكفي أيها الكرام أن يحفزنا على حب الملائكة قول الله عز وجل: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)} [غافر: ٧-٩].

يا أخي تأمل لو يقال لك أن فلان من الناس يقوم آخر الليل ويدعوا لك لأحبيته رأيت أن له منة عليك واغبتبت بهذا الشيء هؤلاء ملائكة الرحمن يحيطون بالعرش ويدعون للمؤمنين ويستغفرون لمن في الأرض فينبغي أن يوجب هذا للإنسان محبتهم لهذا كان الإيمان بالملائكة يثمر ثمرات عظيمة يجب أن نكطفها يجب أن نتنعم بها منها محبة هذا الخلق الكريم لأن المحبة أمرٌ إيجابي حينما يكون في النفس فمن كمال محبة الله محبة أولياء الله وهم من أولياء الرحمن هم الذين عنده { وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ } [الأنبياء: ١٩] فأنت تتقرب إلى الله تعالى بمحبة أوليائه وتؤجر على محبته، أيضاً يا إخواني في فائدة نفسية مهمة وهي الأانس، إيمانك بالملائكة يشعرك بالأنس أنك في كونٍ مأنوس غير موحش فإذا خلوت كثير من الناس تسيطر عليه أفكار الخوف والرهبة والخيالات الفاسدة لكثرة ما يتكلم عن الجن والشياطين حتى لكأنما هو محاط بعفاريت كما يقال.

أما أهل الإيمان فإنهم من كثرة ما يقرؤون ويؤمنون في أخبار الملائكة يشعرون كأنما ملائكة الرحمن تحيط بهم وتؤنسهم فلا يشعرون بخوفٍ أو وحشة أو غير ذلك مما يعتري الناس فلأجل ذلك كان ينبغي أن يعمق المؤمن الإيمان بهذا الركن ما كان عبثاً أن يجعله الله تعالى الركن الثاني بعد الإيمان به إلا لعظيم أثرهم على حياة بني آدم ولعظيم ثمرات الإيمان بهم وهذه الصلة كما ترون لا تقتصر على الحياة الدنيا تنتقل إلى حياة البرزخ من سؤال الملكين إلى من يؤنس الإنسان في قبره بل في ساعة الاحتضار قال الله عز وجل: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ } [فصلت: ٣٠]، حتى روي عن بعض الصالحين وهو يحتضر أنه كان يقول: اجلس هاهنا اجلس هاهنا كأنما يستقبل أضيافه ويجلسهم في مواطنهم ولا يرى من عنده أحد فلا يرون إلا أنه يرى ملائكة الرحمن وعند البعث أيضاً تستقبلهم الملائكة بالطمأنة أنه لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ثم بعد أن يدخلوا الجنة { وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ } [الرعد: ٢٣، ٢٤].

إذاً: الصلة قديمة مستمرة فحريٌّ بهذا الأمر أن يكون محل عناية المؤمن واستحضاره في جميع تقلباته. نختم هذا بمبحثٍ يذكره العلماء وهي في الحقيقة ليس مبحثاً كلامياً بل هو مبحثٌ سلفي وهو المفاضلة بين الملائكة وصالح البشر فإن العلماء يعتقدون هذه المسألة حل الأفضل الملائكة أم صالح البشر وطبعاً هذا الخلاف قد استبعد منه ابتداءً الفساق والكفار وغير ذلك وإنما هو في المفاضلة بين الملائكة وصالح البشر فذهب بعض أهل العلم إلى فضل الملائكة على صالح البشر وقال إن الملائكة خيرٌ محض والآدميون فيهم فجورٌ وتقوى ومن كان متمحضاً للخير فهو أفضل ممن شابهه شر.

وأيضاً الملائكة عند ربهم وهي منزلةٌ عاليةٌ رفيعة { وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ } [البقرة: ٣٠] استدلو

بقول الله تعالى في الحديث القدسي: (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملاً ذكرته في ملاً خيراً منه) فهذا تخييراً للملائكة على البشر ونحو هذا من الأدلة وقابلهم آخرون بل صالح البشر خيراً من الملائكة إذ أن الملائكة طبعهم الله تعالى على الخير وأما صالح البشر مازالوا يعانون ويجاهدون حتى ارتقوا بأنفسهم إلى طاعة الله وهذه المعاناة لا يجدها الملائكة فهم خير من هذا الوجه.

قالوا أيضاً أن الله سبحانه وتعالى أسجد الملائكة لآدم وهل يسجد إلا للفاضل فالمفضول يسجد للفاضل قالوا أيضاً أن الله تعالى قد أخدم صالح البشر الملائكة ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤] الملائكة تسعى في خدمة المؤمنين ونحو هذه الأدلة، وأيضاً قالوا أن نبينا صلى الله عليه وسلم في ليلة المعراج وقد صعد وجبريل أفضل الملائكة ومحمد أفضل البشر، وصل النبي إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام ثم إن جبريل عليه السلام وقف وقال هذا مقام لا أتجاوزه وتقدم النبي صلى الله عليه وسلم وراء ذلك فدل ذلك على فضل صالح البشر على الملائكة.

فكما ترون أن ثم أدلة متقابلة متقاوية في هذه المسألة وقد جرى بحث هذه المسألة في مجلس عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - وبحث فيها التابعون وحقق شيخ الإسلام بن تيمية - رحمه الله - هذه المسألة فقال: إن الملائكة أفضل باعتبار البدايات وصالحوا البشر أفضل باعتبار كمال النهايات، فالملائكة أفضل باعتبار البدايات لكونهم خيراً محض لا شر فيه والبشر فيهم الخير والشر ويلتاثون بما يلتاث به بنو آدم من النجاسات وغير ذلك والملائكة لهم المنازل الرفيعة الكريمة ولكن باعتبار كمال النهايات المؤمنون يصلون إلى درجات يفوقون فيها الملائكة فلهذا تخدمهم الملائكة ويدخلون عليهم من كل باب.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..